محاضرة رقم 05 : علاقة اللفظ بالمعنى: الترادف – التضاد- المشترك اللفظي

الأصل في كل لغة أن يوضع اللفظ الواحد لمعنى واحد و لكن ظروفا تنشأ في اللغة تؤدي الى تعدد الألفاظ لمعنى واحد ، أو تعدد المعاني للفظ واحد يقول سيبويه : واعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين و اختلاف اللفظين و المعنى واحد و اتفاق اللفظين و اختلاف المعنيين، و يطلق العلماء على المفردات الدالة على معنى واحد اسم **المترادف** ، كما يطلقون على الألفاظ الدالة على المعاني المختلفة اسم **المشترك اللفظي** و يطلقون على ذات المعاني المتضادة من هذه الألفاظ اسم **الأضداد** .

أولا : الترادف : لغة التتابع

اصطلاحا: وتعني ما اختلف لفظه واتفق معناه حيث تطلق عدة كلمات على مدلول واحد، مثل:سيف وعضب وحسام، وأيضا: الصقر والزقر والسقر ، حيث تعد إحداهما أصلا والأخريات فروعا لها.

والحكمة من الترادف التوسع في التعبير الأدبي والفني، وخاصة في مجال الصناعة البلاغية وهذا ما يبدو في دلال عدة كلمات على معنى واحد، مثل:

- العدل ، الإنصاف، القسطاس، الميزان.
- علمت الشيء وتقصيته وخبرته وعاينته.
- السرور، الفرح، البشر، الطرب، البهجة، البلج، الحبور.
- جاء فلان وأتى وأقبل وحضر ووفد وسعى إلينا.
- المطر، الغيث، الصيب، الرحمة، السقيا، الخير.
- الهم، الغم، الضيق، الضائقة، الكرب، الكآبة، الحزن..

موقف العلماء من الترادف : الذين يثبتون الترادف في اللغة: سيبويه: وهو من تصدر إثبات الترادف في اللغة حيث يقول:"إعلم ان من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف نحو قولك، وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة.."الكتاب سيبويه بيروت المجلد1ص24. 1994، أما الأصمعي: الذي له كتاب(ما اتفق لفظه واختلف معناه)، وكان يحفظ للحجر سبعين اسما، وأبو الحسن الرماني في كتاب(الألفاظ المترادفة). وكذلك ابن خالويه: الذي جمع للأسد خمسمائة اسم وللحية مئتين، وللسيف خمسين اسما، أما الفيروز أبادي في كتابه(الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف)، والتهانوي الذي يرى وجود الترادف حيث يقول والحق وقوعه بدليل الاستقراء نحو أسد وليث، وكثير من المحدثين يرى بوجوده حيث أقره علي الجارم لكنه حذر من المبالغة فيه بإدخال الكثير من الصفات، وإبراهيم أنيس الذي يعتقد بإمكانية ورود الترادف في كافة لغات البشر، والطاهر بن عاشور الذي لا يفرق بين الاسم والصفة لأن السيف والمهند من المترادفات التي استقرت في اللغة ولا حاجة للعودة إلى الماضي في ذلك.

و بالمقابل أنكر الكثير من اللغويين حقيقة الترادف في اللغة، فمن القدماء ابن درستويه الذي يرى بأنه لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد كما يستحيل أن يختلف اللفظان والمعنى واحد إلا أن يكونا في لغتين مختلفتين، أما ابن فارس فهو يرى أن الاسم واحد والألفاظ الأخرى صفات تختلف في معناها. وهو مذهب أبو علي الفارسي الذي رد على ابن خالويه الذي افتخر بأنه يحفظ للسيف خمسين اسما بقوله لا أعرف للسيف إلا اسما واحدا وهو السيف وأما الباقي فصفات. وأبو هلال العسكري في كتابه (الفروق اللغوية) أنكر الترادف معتبرا أن لكل لفظة معنى مختلفا عن الثاني ولو صح اتفاق المعنى بتعدد الألفاظ لصار الأول أصلا والباقي فضلة لا يحتاج إليها ، فالحماية غير الحفظ فالأولى لما لا يمكن احرازه وحصره مثل الأرض والوطن والثاني لما يمكن حرزه وحصره من المتاع والدراهم، الحمد والمدح الحمد يكون جزاء إحسان أو فعل أما المدح يكون للصفات كحسن الوجه أو طول القامة القسم والحلف الأول أبلغ من الثاني- التواضع والخشوع الأول يشير إلى الأخلاق الظاهرة والباطنة والثاني يقال باعتبار الجوارح، والحقيقة أن الترادف واقع في اللغة من حيث تقارب المعنى وليس من وجه التطابق التام على الأقل في بداية وضع اللغة و أما الاختلاف بين العلماء فقد كان منصرفا إلى الفرق بين الاسم والصفة وليس إلى مسألة الترادف فقولنا أسد أو سميدع أو هزبر لا يهم فيها الاسم من الصفة مادام السامع يعرف أن المقصود هو الأسد أو ذلك الحيوان مهما تعددت الأسماء أو الصفات، وأن الذين أنكروا الترادف بحجة أن لكل لفظ معنى خاص غير الآخر إلا أنهم لم ينكروا المعنى العام فقولهم جاء وحضر وأتى ليست بمعنى واحد لأن كل لفظ يصف هيئة وكيفية الحضور لكنه لا يلغي فعل الحضور ذاته. وأما قولهم أن اللفظ الثاني تأكيد للأول أو أن الأول أبلغ من الثاني الذي يحيل إلى التفريق بين الأصل والفرع وبين الزيادة والفضلة فهو غير مفيد من حيث أننا لا نعرف يقينا اللفظة الأصل من الفرع وإنما الفصل يكون في سياق الكلام وفي الجملة حيث يتبين ظواهر التأكيد ومعالم الزيادة من بلاغة والقول.

أسباب الترادف:

- تعدد اللهجات العربية وانتقالها إلى لهجة قريش بفعل الاحتكاك.وعدم تفريق واضعي المعاجم وجامعي اللغة في ذلك بين المهمل والمستعمل وبين لهجة بلد وآخر فالبطيخ في المصر هو الرقى في العراق والدلاح في ليبيا والحبحب في السعودية.
- عدم التفريق بين المعنى الحقيقي والمجازي بالنسبة لواضعي المعاجم. فغالبا يكون الأصل على الحقيقة اما الألفاظ الأخرى فتأتي على سبيل المجاز.
- عدم التمييز بين الاسم وصفاته جعل السيف هو القاطع واليماني والحسام وغالبا هي أوصاف له.

- انتقال الكثير من الألفاظ الموضوعة والمولد والسامية واللغات الأخرى بفعل الاحتكاك الحضاري إلى اللغة العربية مثل: الاسفنط والباذق والديارقة للخمر من الفارسية وغيرها.

شروط الترادف : الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما فإذا تبين لنا بدليل قوي أن العربي كان يفهم حقا من الكلمة جلس شيئا لا يستفيده من كلمة قعد قلنا حينئذ ليس بينهما ترادف، و الشرط الثاني الاتحاد في البيئة اللغوية و نعتبر هنا الجزيرة العربية بيئة واحدة ، و الشرط الثالث الاتحاد في العصر فالمحدثون حين ينظرون الى المترادفات ينظرون اليها في عهد خاص و زمن معين فاذا بحثنا عن الترادف يجب الا نلتمسه في شعر شاعر من الجاهليين ثم نقيس كلماته بكلمات وردت في نقش قديم يعود الى العهود المسيحية مثلا.

ثانيا : التضاد لغة : ورد في لسان العرب أن الضد هو كل شيء ضاد شيئا ليغلبه ، و قال ابن السكيت خلاف الشيء ضده و الجمع أضداد و التضاد مصدر و في تاج العروس ورد التعريف نفسه و يواصل السواد ضد البياض و الموت ضد الحياة.

اصطلاحا : هو دلالة اللفظ الواحد الدال على معنيين متضادين أو هو الكلمة ذات المعنى المضاد مثل لفظ الجون يطلق على الأسود و الأبيض في آن واحد .

موقف العلماء من التضاد : اختلف الباحثون بصدد وروده في اللغة العربية و أسباب وقوعه و كان من الطبيعي أن ينكره ابن درستويه فأفرد كتابا لتأييد رأيه سماه إبطال الأضداد حيث يرى فيه تغطية وتعمية للدلالة و يرى أنه اذا اعترى اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب و انتصر السيوطي لهذا المذهب في صدر الفصل الذي عقده في كتابه المزهر فقال : هو نوع من المشترك و أنكره بعضهم مثل ابن سيدة فقال : كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد و كان ثعلب يقول : ليس في كلام العرب ضد لأنه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا كما انتصر الجواليقي لهذا الرأي و أسند الى المحققين من علماء العربية ثم عرض لكثير من الكلمات التي قيل أنها من الأضداد و بين عدم التضاد فيها و من العلماء من عد التضاد نقصا في كلام العرب و في لغتهم و قد رد عليه ابن الأنباري في كتابه عن الأضداد قال :كلام العرب يصحح بعضه بعضا و يربط أوله بآخره و لا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه و استكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنه يتقدمهما و يأتي بعدهما ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، و لا يراد بها في حال التكلم و الإخبار الا المعنى الواحد ، أما الفريق الثاني فيقر بوجود التضاد و هم أغلب علماء العربية نذكر منهم : الخليل بن أحمد و أبا عمرو الشيباني و قطرب و أبا عبيدة و الأخفش الأوسط و أبا زيد الأنصاري و الأصمعي و ابن السكيت و ابا حاتم السجستاني و غيرهم و أقر العلماء بقلة عدد هذه الألفاظ : و هذا الضرب هو القليل في كلام العرب .

أسباب التضاد :

- التفاؤل و التشاؤم فقد يتشاءم بذكر كلمة وقد يتفاءل بذكر أخرى .
- التهكم و السخرية قال ابن الأنباري :و مما يشبه الأضداد قولهم للعاقل ياعاقل و للجاهل يا عاقل إذا استهزؤا به فالاستهزاء هنا أدى إلى تغير الدلالة الى الضدية و هو أمر أيده المحثون .
- دلالة اللفظ في أصل وضعه على معنى عام يشترك فيه الضدان و قد يسهو بعضهم عن ذلك المعنى الجامع فيظن الكلمة من قبيل التضاد فمن ذلك الصريم يقال لليل الصريم و للنهار الصريم لأن الليل ينصرم من النهار و النهار ينصرم من الليل فأصل المعنيين من باب واحد و هو القطع .
- انتقال اللفظ من معناه الأصلي الى معنى آخر مجازي فقد يكون اللفظ موضوعا عند قوم لمعنى حقيقي ثم ينتقل الى معنى مجازي كاطلاق لفظ البصير على الأعمى.
- اتفاق كلمتين في صيغة صرفية واحدة من ذلك كلمة مجتث و معناها الذي يجتث الشيء و الذي يجتث و أصل اسم الفاعل من اجتث مجتثِث و اسم المفعول مجتثَث و قد نشأ اتحاد اللفظين من الادغام.
- اختلاف القبائل العربية في استخدام الألفاظ كلفظة وثب عند حمير تعني قعد و عند مضر تعني طفر.

شروط التضاد : من شروطه اتحاد الكلمة و متعلقاتها في المعنيين لأن تغيير فيها أو في متعلقاتها يخرجها عن كونها بذاتها تحتمل المعنيين المتضادين ، فلا نعد لذلك ظاهر عنك بمعنى زائل و ظاهر عليك بمعنى لازم من كلمات الأضداد كما أنه ليس من كلمات الأضداد راغ على بمعنى أقبل و راغ عن بمعنى ولّى، كما أننا لا نعد من كلمات الأضداد ما ترك اللغويون العرب الاستشهاد على أحد معنييه لأنه لم يثبت في كلام العرب أنه استعمل بهذا المعنى مثل قولهم : قسط تعني عدل أو جور فالمعنى الأول لا دليل عليه أما الثاني فقد ورد في قوله تعالى : (و أما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا).

ثالثا : المشترك اللفظي لغة : من الفعل اشترك يشترك و المشترك اسم مفعول يقال اشتركنا بمعنى تشاركنا و قد اشترك الرجلان و تشاركا و شارك أحدهما الآخر و اسم نشترك تشترك فيه معان عدة **اصطلاحا** هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة و عند الزبيدي في مقدمة تاج العروس : اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة ، أو لفظ واحد له أكثر من معنى ، و مثال ذلك العين التي تعني في الأصل عضو الإبصار ، فلأن الدمع يجري منها كما يجري الماء أو لمعناها ما يحف بها من أهداب تشبه عين الماء التي تحف بها الأشجار و العين من أعيان الناس و هم وجهاؤهم لقيمتهم في المجتمع التي تشبه قيمة العين في الأعضاء ، و العين بمعنى الإصابة بالحسد لأن العين هي المتسببة في هذه الإصابة ...

موقف العلماء من المشترك اللفظي :

اختلف الباحثون في مسألة ورود المشترك اللفظي في اللغة العربية إذ أنكره فريق منهم مؤولا أمثلته تأويلا يخرجها من بابه كأنه يجعل إطلاق اللفظ في أحد معانيه حقيقة و في المعاني الأخرى مجازا و كان في طليعة هذا الفريق ابن درستويه في كتابه شرح الفصيح فإذا ظن اللغويون أن لفظ وجد مثلا يفيد عدة معان فإنه لا يسلم بأن هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة و إنما هذه المعاني كلها شيء واحد و هو إصابة الشيء خيرا أو شرا و ذهب فريق آخر الى كثرة وروده فأورد له شواهد كثيرة و من هذا الفريق الأصمعي و أبو عبيدة و أبو زيد الذين أفردوا لأمثلته مؤلفات على حدة و الحقيقة أن المشترك ظاهرة لغوية موجودة في معظم لغت العالم و من التعسف انكار وجودها في العربية .

شروط المشترك اللفظي : الدكتور ابراهيم أنيس لا يسلم بالمشترك اللفظي الا اذا دلت النصوص على أن اللفظ الواحد يعبر عن معنيين متباينين كل التباين وأما اذا اتضح أن أحد المعنيين هو الأصل و الأخر مجازا له ، فلا يصح أن يعد هذا من المشترك اللفظي في حقيقة أمره ، و يقول : لقد كان ابن درستويه محقا حين أنكر معظم تلك الألفاظ التي عدت من المشترك اللفظي و اعتبرها من المجاز فكلمة الهلال حين تعب عن هلال السماء ، و عن حديدة الصيد التي تشبه في شكلها الهلال و عن قلامة الظفر التي تشبه الهلال ... لا يصح اذن أن تعد من المشترك اللفظي.

أسباب المشترك اللفظي :

- اختلاف اللهجات العربية القديمة فمعظم ألفاظ المشترك جاء نتيجة اختلاف القبائل في استعمالها و عندما وضعت المعاجم ضم أصحابها المعاني المختلفة للفظ الواحد دون أن يعنوا بنسبة كل معنى الى القبيلة التي كانت تستعمله.

- التطور الصوتي الذي يطرأ على بعض أصوات اللفظ الأصلية من حذف أو زيادة أو ابدال فيصبح هذا اللفظ متحدا مع لفظ آخر يختلف عنه في المدلول فقد طرأ مثلا على لفظة النغمة تطور صوتي بابدال الغين همزة لتقارب المخرج فقيل النأمة بمعنى النغمة.
- انتقال بعض الألفاظ من معناها الأصلي الى معان مجازية أخرى لعلاقة ما ثم الإكثار من استعمالها حتى يصبح إطلاق اللفظ مجازا في قوة استخدامه.
- العوارض التصريفية التي تطرأ على لفظين متقاربين في صيغة واحدة فينشأ عنها تعدد في معنى هذه الصيغة و من الأمثلة على هذا النوع من الاشتراك لفظ وجد فيقال وجد الشيء وجودا أو وجدانا إذا عثر عليه ووجد عليه موجدة إذا غضب ووجد به وجدا اذا تفانى في حبه .
- **المشترك اللفظي في القرآن الكريم :** من أمثلته لفظة الأرض و قد وردت على ثلاث معان :
  - تطلق على الكوكب الذي يعيش عليه الانسان في قوله تعالى : (الذي جعل لكم الأرض فراشا).
  - تطلق على جزء من هذا الكوكب في قوله تعالى : (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم).
  - أطلقت في القرآن على الجنة قال تعالى : (و قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده و أورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين)، و من المشترك اللفظي في حقل القرآن الكريم كلمة أحصن و تطلق على عدة معان : الحرية ، العفة ، التزوج .